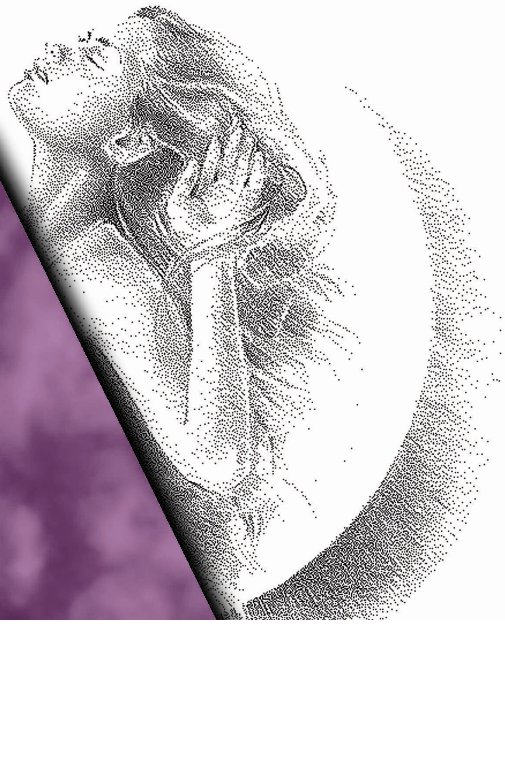
# المعراج الفكري
## ومكانة المرأة في الإسلام



عزت القطريب

عزت القطريب

# المعراج الفكري

# و مكانة المرأة في الإسلام

المعراج الفكري ومكانة المرأة في الإسلام


تأليف: عزت القطريب

العنوان: حماه ــ سلمية هــ ٨١١٧٤٨-٠٣٣





مطبعة باكير / ٨٤٠٤٠٣ - ٠٣٣

# الإهداء

إلى كل امرأة اضطهدت باسم الله...

إلى كل امرأة ساهمت في صنع الحياة والإنسان...

« لو نزعنا الجص عن جدران كنائسنا لألفينا تحتـــه كتابات مذهبة باسم الله القدسي بحروف كوفية. ولو خدشنا بالأظافر بشرتنا الأوربية الصفراء لبرز لنا تحتهـــا لـــون بشرة العرب السمراء.

إن قوميتنا الغربية هي العرض الظاهر. أما القومية الشرقية فهي حقيقتنا الخالدة».

**المؤرخ**

**فرانسيسكو فلاسباسان**

يجب إعادة كتابة التاريخ الإسلامي للنبي محمـــد ﷺ بالشكل المنطقي والعقلاني والصحيح بعيـــداً عمـــا كتبـــه أعداء النبي محمد ﷺ بشكل خرافي وأسطوري وأيضاً ما كتبه المفسرون من مفاهيم لبعض الآيات حيث صاغوا لها تاريخاً.

يجب إظهار رسالة محمد ﷺ وتعاليمه على حقيقتها التي تتضمن مشروعاً حضارياً في مختلف ميادين الحيـــاة وإعادة نشرها من جديد وبنـــاء الجســـور بـــين مختلـــف الثقافات ونبذ العنف الذي نشر تحت شعار الدين.

إن أي إنسان كائن من كان يقوم بفعل أو قام به ونسبه إلى أي مذهب من المذاهب الدينية العالمية وكان هذا السلوك يحمل في طياته العنف أو إلغاء الآخر وعدم الاعتراف بالتنوع الإنساني والتعددية. فهو يكون من أعداء مذهبهِ والإنسانية.

لأن كل المذاهب الدينية مصدرها الله عـــز وجـــل. فهي تحمل في تعاليمها الأخوة الإنسانية وبنـــاء الجســـور

والتسامح والصفح بحق المخطئين ومساعدة النـــاس فـــي المحن والكوارث.

ومن أراد أن يدافع عن صحة سلوكه في الحـــروب ضد الآخرين باسم الدين فليبرز الصك الإلهي الذي منحه هذا العمل بإلغاء الآخرين وسفك دمائهم تحت شعار الدين والأثنية.

إن الله عز وجل وحده فقط المسؤول عـــن حســـاب البشر وكل الأنبياء لم يمنحوا هذه الصلاحية من الله عـــز وجل فقط مشروعهم تنويري وســـلمي وشـــرح المـــنهج الإلهي بالحوار لا بالعنف.

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ﴾ سورة النحل آية (٩٠).

﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلاَّ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾ سورة الإنعام آية (٤٨).

# الإسلام وجذوره

النبي إبراهيم الخليل عليه السلام صاحب المنهج الفكري الإسلامي المعرفي والسلمي.

قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلاَ نَصْرَانِيًّا وَلَكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ سورة آل عمران آية (٦٧).

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لله وَهُوَ مُحْسِنٌ واتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً﴾ سورة النساء آية (١٢٥).

الإسلام هو دعوة النبي إبراهيم عليه السلام الفكرية في الإقرار بالحقيقة الإلهية المطلقة والابتعاد عن كل التيارات الفكرية المناهضة لهذه الحقيقة ضمن إطار النظام الفكري الإلهي، لأنه يوجد رجال دعاة لم تستتر عقولهم بالحقيقة وبالتالي أحدثوا منهجاً فكرياً ورمز له بالأصنام.

وإن ما امتلكه النبي إبراهيم عليه السلام من هذه المعرفة الروحية بعد معراجه الروحي الفكـــري اســـتطاع إثبـــات صحة رؤيته حول الحقيقة الإلهية وذلك بتحطيم الأفكـــار الخاطئة والجامدة (الأصنام).

فالنبي ﷺ ليس من أوجـــد الإســـلام وإنمـــا مكمـــل للمشروع الإبراهيمي قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنِّيَ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكَينَ﴾ سورة الإنعام آية (١٤).

إن المعراج الفكري للنبي ﷺ شبيهة بمعراج النبـــي ابراهيم عليه السلام.

قوله تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَـــيْلاً مِّـــنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾ سورة الإسراء آية (١).

إن هذا الإسراء ليس كما يرويـــه الـــبعض بـــدون الاستناد لوثيقة تاريخية أو محاكمة عقلية. كما ذكرنا فـــي قصة إبراهيم الخليل عليه السلام ودلالاتها.

لقد اختلف الناس في وقت المعراج، فقيل كـــان قبـــل الهجرة بثلاث سنين، وقيل بســـنة واحـــدة، واختلفـــوا فـــي الموضع الذي أسرى برسول اللهﷺ منه، فقيل: كـــان نائمـــاً بالمسجد في الحجر فأسرى به منه، وقيل: كان نائماً في بيت أم هانئ بنت أبي طالب وقائل هذا يقول: الحرم كله مسجد.

قال رسول الله ﷺ: «أتاني جبريل وميكائيل، فقـــالا بأيهم أمرنا؟ فقالا: أمرنا بسيدهم ثم ذهبا ثـــم جـــاءا مـــن القابلة وهم ثلاثة فألقوه وهو نائم، فقلبوه لظهـــره وشـــقوا بطنه، وجاؤا بماء زمزم فغسلوا ما كان في بطنه من غل وغيره، وجاؤا بطست مملوء إيماناً وحكمة فملـــئ قلبـــه وبطنه إيماناً وحكمة قال: وأخرجني جبريل من المســـجد. وإذا بدابة وهي البراق وهو فوق الحمار ودون البغل، ثم مثل البراق خطوه عند منتهى طرفه فقال: اركـــب فلمـــا وضعت يدي عليه تشامس واستصعب. فقال جبريل: يـــا براق ما ركبك نبي أكرم على الله من محمدﷺ فانصـــب عرقاً وانخفض لي حتى ركبته»[١].

---

[١] ابن الأثير. الكامل في التاريخ– دار الكتاب العربي– بيروت –ط٢ ١٩٦٧ مج٢ ص ٣٣

# الإسراء بين إبراهيم عليه السلام ومحمد ﷺ

**إبراهيم عليه السلام في التوراة سفر التكوين:**

١- وقال الرب لأبرام انطلق من أرضك وعشيرتك وبيت أبيك إلى الأرض التي أريك.

١٤- ولما دخل أبرام مصر رأى المصريون أن المرأة حسنة جداً ف ١٢.

١- فشخص أبرام من مصر هو وامرأته وكل ما له ولوط معه إلى الجنوب.

٢- وكان أبرام غنياً جداً بالماشية والفضة والذهب ف ١٣.

١٢- وأخذوا لوطاً ابن أخي أبرام وماله ومضوا إذ كان مقيماً في سدوم.

١٩- وباركه وقال مبارك أبرام من الله العلي مالك السماوات والأرض ق ١٤.

نلاحظ بأن الرب كيف يخاطب إبراهيم بإبرام؟

١- ولما كان أبرام ابن تسع وتسعين سنة تجلى له الرب وقال له: أنا الله القدير أسلك أمامي، وكن كاملاً (٢) فاجعل عهدي بيني وبينك وأكثرك جداً جداً (٣) فسقط أبرام على وجهه وخاطبه الله قائلاً (٤) ها أنا أجعل عهدي معك وتكون أبا جمهور أمم (٥) ولا يكون اسمك أبرام بعد بل يكون اسمك إبراهيم لأني جعلتك أبا جمهور أمم (٦) وسأنميك جداً جداً وأجعلك أمماً وملوك منك يخرجون (٧) وأقيم عهدي بيني وبينك وبين نسلك من بعدك مدى أجيالهم عهد الدهر لأكون لك إلهاً ولنسلك من بعدك ف ١٧.

عندما وصل إبراهيم عليه السلام بمعراجه للحقيقة أطلق الله عز وجل عليه إبراهيم عليه السلام بدلاً من أبرام فأصبح معلماً لشرح المنهج الإلهي بحقيقته الطلقة.

---

العهد العتيق–سفر التكوين.فصل ١٧

## أما في القرآن

﴿وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لاَ يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ سورة البقرة آية (١٢٤).

نلاحظ بأن الله يخاطب إبراهيم عليه السلام بأبراهم وليس إبراهيم عليه السلام:

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِمُ رَبِّ اجْعَلْ هَـَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُم بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلاً ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ سورة البقرة آية (١٢٦).

## بعد المعراج

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لله وَهُوَ مُحْسِنٌ واتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً﴾ سورة النساء آية (١٢٥).

## محمد ﷺ

﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾

سورة الصف آية (٦).

نلاحظ أن القرآن يخبرنا بأن الله عز وجل كان يبشر رسله ومؤمنيه بنبي سيأتي بعد موسى وعيسى عليه السلام اسمه أحمد. فلماذا سمي محمد ﷺ وليس أحمد؟

بالمقارنة مع إبراهيم عليه السلام أنه كان اسمه ابرام قبل المعراج الفكري وبعده أصبح أسمه إبراهيم أما محمد كون معراجه مباشرة إلى الحقيقة وبدون واسطة فكرية أصبح اسمه محمد ﷺ بدلا من أحمد لا يعني هذا أن هناك اسماً أفضل من الأخر. الأسماء هي فقط عبارة عن دلالات للرقي الروحي والفكري ضمن نظام الدعوة الإلهية في المجتمع الإنساني من خلال النص الديني فقط حيث تمت الإشارة للمعراج الفكري.

أما بالنسبة للتوراة ذكرنا في أبحاثنا السابقة الفيلسوف اليهودي فيلون حيث قال: يجب تفسير التوراة على أساس لغة الرمز والتأويل.

﴿وَالضُّحَى (١) وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى (٢) مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى (٣) وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى (٤) وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى (٥) أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى (٦) وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى (٧) وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى (٨) فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ (٩) وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ (١٠) وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ (١١)﴾ سورة الضحى.

نقول فلاناً أصبح يتيماً لوفاة والديه. أما أن يوجد يتيماً مباشرة فلا يخضع لهذه المسألة أي أنه بالأساس ليس لديه والدان، فهذا يعني أنه المقصود هنا هو المعرفة الفكرية وأنه لم يكن لديه معلمون وشارحون للحكمة والحقيقة.

﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى﴾ أي كنت أمياً قبل معراجك ومن ثم استدليت على شجرة الخلد والملك الذي لا يبلى.

﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ (٩) وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ (١٠) وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ (١١)﴾

هذه قيم محمد ﷺ هو الذي يعلمها للناس ويشـــرحها لهم ويطلب منهم تطبيقها فهو ليس بحاجـــة لموعظـــة أو تذكير لتطبيق هذه القيم؟ لأن الله عز وجل اختصه وأرسله رحمة للعالمين؟

ولكن ليس المقصود يتيم الأبوين هنـــا ولا الســـائل الذي يقصد حاجة؟

مع العلم أنه علينا احترام اليتيم ورعايتـــه والســـائل عدم إهانته مهما كانت الأسباب.

ويجب السعي لخلق الإنسان القـــادر علـــى العمـــل والعيش بكرامة من خلال إيجاد فرص عمل لـــه وإلغـــاء حالات التسول في الطرقات وكل حالات البطالـــة لأنهـــا ظاهرة غير حضارية ولا إنسانية فالكائنات الحيـــة بكـــل تنوعاتها تضع نفسها تحت الخطر المحدق والمـــوت مـــن أجل اكتساب قوت يومها فكيف الإنسان.

أما المقصود الأساسي من هذا النص هو:

يجب أن تكون كريماً وتجود من هــذه العلــوم، ولا تبخل بها وتحرمها على من لا يملــك معلمــين فكــريين والمسافر نحو الحقيقة ومهاجراً إلى الله عز وجل أيضــاً يجب ألا تبخل عليه.

أما هذه النعمة التي اختصت بك يجب دائماً الشــكر لله عز وجل عليها وذكرها.

النمرود هو شيطان إبراهيم الخليل عليه السلام كشيطان آدم عليه السلام. هو رجل معرفة ضمن الرحاب الفكري الإلهي علم أسراره وخفاياه وحقائقه. قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّــذِي حَآجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رِبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّــيَ الَّذِي يُحْيِــي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِــي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِــتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ سورة البقرة آية (٢٥٨).

لا يمكن أن يكون الحوار عن النظام الكوني لماذا؟

إبراهيم ﵇ قال: ربي يحيي ويميت؟

أجابه النمرود: أنا أحيي وأميت.

لماذا لم يطلب النبي إبراهيم ﵇ من النمرود إثبات ذلك؟

فتابع الحوار قائلاً: قال النبي إبراهيم ﵇: فإن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من الغرب فبهت الذي كفر والله لا يهدي القوم الظالمين.

متابعة الحوار إعطاء النمرود الصفة التي أطلقها على نفسه أنه يحيي ويميت وهو بذلك يشارك الإله في هذه القدرة وهذا غير منطقي؟

من متابعة الحوار كان باستطاعة النمرود أن يقول للنبي إبراهيم ﵇ فليأت الله بالشمس من المغرب كان ذلك سيسبب إحراجاً للنبي إبراهيم ﵇ لا للنمرود لأنه من المحتمل أن يقول له أنا الذي آت بالشمس من المشرق أو إنه قانون طبيعي.

ولكن الحوار يتحدث عن النظام الفكري والشمس هي رجل المعرفة بعد الإله وذلك ما تم الاستدلال عليه من معراج إبراهيم عليه السلام.

فالنمرود يحيي ويميت النفوس من خلال ما يمتلكه من العلوم.

فأما الشمس (رجل المعرفة) ومهمته الفكرية فهي لا يستطيع أن يملكها لأنها نظام لا يعرف أسراره؟

أما محاولة إحراقه في النار فهي إيقاعه في مسائل فكرية توقعه في الشك والحيرة والضلال فأمده الله بالفكر المنطقي و العقلاني فكانت هذه المسائل بعيدة على أن تشكل خطراً على عقله النير ونفسه المطمئنة.

﴿قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ﴾ سورة الأنبياء آية (٦٨).

فهي شبيهة بأخوة يوسف عليه السلام عندما أوقعوه في مسائل فكرية كبيرة وهو ما زال ناشئاً في طريق المعرفة وذلك برميه في الجب.

أما قوله تعالى:

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِـي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَى وَلَـكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ سورة البقرة آية (٢٦٠).

هناك عدة تفاسير لهذه الآية، سنأخذ تفسيرين ونعطي رؤيتنا حول هذه الآية:

الرؤية الأولى وهي الأقرب لحقيقة النص، وهي نظرة صوفية وتقول:

إن المراد من الموتى القلوب المحجوبة عن أنوار المكاشف والتجلي، والإحياء عبارة عن حصول ذلك التجلي والأنوار الإلهية فقوله: (أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى) طلب لذلك التجلي والمكاشفات فقال أولم تؤمن قال: بلى أومن به إيمان الغيب ولكن أطلب حصولها ليطمئن قلبي بسبب حصول ذلك التجلي. وعلى قول المتكلمين. العلم الاستدلالي مما يتطرق إليه الشبهات

فطلب علماً ضرورياً يستقر القلــب معــه اســتقراراً لا يتخالجه شيء من الشكوك والشبهات.

أما الرؤيا الثانية التي هي بعيدة عن المنطق والعقول حيث تقول:

أنه مع مناظرته مع النمرود لمــا قــال: ( إذ قــال ابراهيم ربي الذي يحيي ويميت قال أنا أحيي وأميت)

فأطلق محبوساً وقتل رجلاً قال إبراهيم عليه السلام: لــيس هذا بإحياء وإماتة. وعند ذلك قال:

( رب أرني كيف تحيي الموتى) لتكشف هذه المسألة عند النمرود وأتباعه. وروى عن النمرود أنه قــال: قــل لربك حتى يحيي وإلا قتلتك. فسأل الله تعالى ذلك. وقولــه ( ليطمئن قلبي) بنجاتي من القتل أو ليطمئن قلبــي بقــوة حجتي وبرهاني. وإن عدو لي منها إلى غيرها مــا كــان بسبب ضعف تلك الحجة. بل كان بسبب جهل المستمع[1].

---

[1] الرازي فخر – التفسير الكبير – دار إحياء التراث العربي. ج٧ ط ٣ ص ٣٨.

الطيور كما مر معنا في أبحاثنا السابقة هـم رجـال دعوة وفكر والجبال أيضاً رجال علم أي من خلال هـذه التجربة ستحصل على العلم الذي ينقل الإنسان من حيـاة النفس إلى حياة العقل فتحيـا وتسـعد النفـوس بـالعلوم الروحية، وهي العلوم التي يعرفها النمـرود أمـا نظـام انطلاق الدعوة فهي سر لم يتسـن لأبلـيس (النمـرود) الإطلاع عليها، من هنا بهـت واعتـرف لإبـراهيم ﷺ بمكانته في رحاب الدعوة الفكرية الروحية.

لأن الشمس هي رجل المعرفـة الأقـرب للحقيقـة الإلهية وباب من أبواب الدخول إلى رحاب الجنة الإلهيـة العقلية المعرفية، وليس المقصود بها الشمس الموجودة في العالم المادي. وهو ما أصبح مؤكداً لنا بشكل كبير حقيقتها الرمزية من خلال رؤيا يوسـف ورؤيـا إبـراهيم ﷺ والطيور وقصة بلقيس .

رجال المعرفة الروحية ضمن النظام الفكـري لهـم مكانتهم وشفاعتهم.

# اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى

إن رسالة محمد ﷺ امتداد لرسالة النبـــي إبـــراهيم الخليل عليه السلام وشبيهة بطقوسها المعرفية.

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَـذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لا أُحِبُّ الآفِلِينَ (٧٦) فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَـذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لأكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ (٧٧) فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَـذَا رَبِّي هَـذَآ أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ (٧٨)﴾ سورة الإنعام آية (٧٦-٧٨).

إنها الرحلة الفكرية التي سار مـــن خلالهـــا النبـــي إبراهيم عليه السلام نحو الحقيقة الإلهية .

وإن اللات والعزى ومناه الثالثة الأخرى، ما هم إلا رجال المعرفة الإلهية ومكانتهم وهم شـــبيهون بكواكـــب إبراهيم الخليل عليه السلام.

قوله تعـــالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللَّـــهُ مَـــا يُلْقِـــي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٥٢) لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُـــوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ (٥٣)﴾ سورة الحج آية (٥٢ – ٥٣).

﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى (١٩) وَمَنَاةَ الثَّالِثَـــةَ الْـــأُخْرَى (٢٠)﴾ سورة النجم.

هناك رؤية تاريخية حول النص تقول:

أن النبي محمد ﷺ تمنى في نفسه أن يرسل الله نصاً يقارب بينه وبين قومه. فـــأنزل الله ســـورة ﴿وَالـــنَّجْمِ إِذَا هَوَى﴾ فقرأها رسول الله ﷺ حتى بلغ قوله: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى (١٩) وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى (٢٠)﴾ ألقـــى الشـــيطان على لسانه (تلك الغرانيق العلى منها الشفاعة ترتجى).

لقد فرحت قريش لذلك فسجد المؤمنون والمشركون. فأتاه جبريل وقال له: تلوت للناس ما لم آمرك به، فأحدثت هذه الواقعة الحزن والغم في نفس النبي محمد ﷺ حتى أنزل الله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ﴾.

الشيطان هو رجل فكر ومعرفة روحية هذا ما تبين لنا في قصة آدم وحواء.

وبالتالي ليس للشيطان السماوي المتعارف عليه في الديانات السماوية أي حضور فعلي في المجال الفكري الإلهي في هذا العالم.

وإن معراج إبراهيم عليه السلام كان من خلال ثلاثة دعاة.

وأيضاً ما ذكر هنا هو ثلاثة دعاة، فهذا يؤكد ويدلنا على النظام الروحي الإلهي في الوجود المحكم والمنظم.

منهم من نكر هذه الرواية وقالوا عنها باطلة وغير ثابتة من جهة النقل.

منهم من قال بأن الشيطان هو الذي نطق بـــالغرانيق العلى بصوت محمد ﷺ، يحتمل أن يكون قال ذلك ســـهواً أو قسراً[1].

أما في التاريخ لقد تضاربت الروايـــات التاريخيـــة وكثرت حول هذه الأصنام فهي حتماً أصنام ولكن الـــنص استدل بها على مفاهيم روحية.

ذكر الطبري أن (اللات هي من الله، ألحقـــت فيـــه التاء، فأنثت فأصبحت الإلهة كما قيل عمر للذكر وللأنثى عمرة. كما قيل للذكر عباس ثم قيل للأنثى عباسة[2].

وذهب بعض المؤرخين إلـــى أن (الـــلات) تمثـــل (الشمس).

**العزى:**صنم أنثى. أشار اسحاق الأنطاكي من رجال القرن الخامس للميلاد، أي اسم العزى في حديثـــه عـــن

---

[1] الإمام فخر الرازي- التفسير الكبير- دار إحياء التراث العربي بيروت ص ٣ ج ٢٣-٢٤ ص ٤٨-٥٥

[2] جواد علي. مفصل التاريخ العربي قبل الإسلام.

مدينة (بيت حور) ودعاها بــ ( BELT IS ) ، وســماها كوكبتا ويظن أن (كوكبتا)، أي كوكبــة المــذكورة فــي المصادر السريانية، هي أنثى كوكب، تعني الكوكب الذي يظهر عند الصباح، وهو العزى عند الجاهليين ويراد بها (الزهرة) VENAS عند النبط حيث اتخذوا لها معبداً في مدينة (بصرى) في منطقة (رم) عرف بــ (بيت أيل) وقد نص (بروكوبيوس) على أنها (أفروديت)عند اليونان وهي كناية عن القمر على رأي بعض المستشــرقين (كوكــب السماء)[1]

أما بالنسبة **لمناة.**

اختلف الأخباريون فيما بينهم علــى هيــأة (منــاة) وشكله ومنهم من يقول إن مناة صخرة، سميت بــذلك لأن دماء النسائك كانت تمنى عندها، أي تراق. ومــنهم مــن يقول، إنه صنم كان منصوباً على ساحل البحر، فهو على

---

[1] جواد علي. مفصل التاريخ العربي قبل الإسلام ص ٢٣١-٢٣٨.

هيئة ومثال. وقد نحت من حجارة، وجعله بعض الــرواة في الكعبة مع بقية الأصنام.

والذين يذكرون أن مناة صخرة، يــرون أن النــاس كانوا يذبحون عندها فتمنى دماء النسائك عندها، أي تراق، فهي إذن وبهذا الوصف مذبح تراق عنده الذبائح الذي تقدم نسيكة للآلهة. ويذكرون أنهم إنما كانوا يفعلون ذلك ( كأنهم كانوا يستمطرون عندها الأنواء تبركاً بها ) ويتبين من ذلك أن هذا الموضع كان مكاناٍ مقدساً وقد خصص بإله ينشــر السحب ويرسل الرياح فتأتي بالأمطار لتغيث النــاس وإن لهذا الإله صلة بالبحر وبالماء، ولذلك أقــيم معبــده علــى ساحل البحر. وقد تكون هذه الصخرة مــذبحاً أقــيم عنــد الصنم أو عند معبده لتذبح عليه ما يهــل للصــنم فســمي باسمه. ولذلك يمكن التوفيق بين الرأيين، كونــه صــخرة وكونه صنماً.

إن مناة تمثل في مخيلة عبدتها. إلهاً كريمــاً يســعد عباده ويساعدهم في المكــاره والملمــات ويعطــيهم مــا يحتاجون إليه.

فهناك دليل على أن كلمـــة الله عـــز وجـــل كانـــت معروفة لدى المجتمع الجاهلي وأنهم لم يكونـــون تحـــت سيطرة الخرافة والأصنام.

فلفظة الله كانت في أذهانهم وأفواههم. وقد تكون قد نشأت لديهم عن تجريد لمعنى الألوهية أو من حصرها في واحد من آلهة الكعبة فاسم الله. إذاً سابق للإسلام ويبـــدو هذا في اسم والد النبي ﷺ (عبد الله) وفي كثير من أشعار الجاهلية بل كانوا يقسمون به، ومن هذه الأشـــعار التـــي قالتها الخنساء تظهر التطور الفكري الديني:

والله لا زلت أبكيه وأندبـــــه

حتـــى تزورك أخوالي وأعمامي

لله يـــا عمرو وأيُ فتى

كفنت يوم وضعت فـــي القبـــــر

لا يبعدنك اللـــه يا عمـــري

إمـــا مضيــــــت فنحن بالأثـــر

فلله عينا من رأى مثله فتى

إذا الخيل يوم الروع هب نزالها

ويذهب بعض المؤرخين إلى القول بأن (الله) كـــان المعبود القبلي لقبيلة قريش قبل الإسلام وفي دليـــل ذلـــك وجود جماعة الأحناف[1].

[1] جواد علي – مرجع سابق ص ٤٠٨ – ٥٩٩.

# الحنفاء

بما أن النبي إبراهيم عليه السلام هو صاحب المنهج الفكري الواضح وأطلق عليه الإسلام. وبما أن منهجه هذا إلهي فهو حتماً مستمرفي الوجود رحمةً وعطاءً فكرياً الذي يشكل بدوره السعادة الحقيقية للإنسان. وأن الأنبياء الذي قاموا بالتبشير بالمنهج الإلهي بعده هم عيسى عليه السلام وموسى عليه السلام حتى ظهور هذا الفكر من جديد في أرض خصبة هي مرحلة محمد ﷺ لوجود المفكرين الحاملين لهذا اللواء المعرفي منذ زمن إبراهيم عليه السلام وهم الحنفاء.

فالمؤرخون كلهم متفقون على نقطة واحدة وبشكل حازم وهي أنه كان يوجد طبقة من المفكرين قبل رسالة محمد ﷺ وكان يطلق عليهم الحنفاء نسبة إلى منهج إبراهيم عليه السلام الفكري قوله تعالى عز وجل. قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلاَ نَصْرَانِيًّا وَلَكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ سورة آل عمران آية (٦٧).

هؤلاء كان يمثلون في عصرهم مشروعاً تنويراً وإصلاحياً لأنهم حاولوا النهوض بمجتمعهم نحو المعرفة من خلال نشر العلم والابتعاد عن الإشراك بالله وكانوا على صلة بالنبي محمد ﷺ منذ مولده وهم: (قس بن ساعدة الأيادي، وزيد بن عمرو بن نفيل، وأمية بن أبي الصلت، وأرباب بن رثاب، وسويد بن عامر المصطلقي، وأسعد أبو كرب الحميري، ووكيع بن زهير الإيادي، وعمر بن جندب الجهني، وعدي بن زيد العبادي، وأبو قيس صرمة بن أبي أنس، وسيف بن ذي يزن، وورقة بن نوفل القرشي، وعامر بن الظرب العدواني، وعبد الطانحة بن ثعلب ابن وبرة بن قضاعة، وعلاف بن شهاب التميمي، والملتمس بن أمية الكناني، وزهير بن أبي سلمى، وخالد بن سنان العبسي، وعبد الله القضاعي، وعبيد ابن الأبرص الأسدي، وكعب بن لؤي بن غالب)[١].

قال رسول الله محمد ﷺ: (لا تسبوا ورقة بن نوفل، فإني رأيته في ثياب بيض) وجاء في خبر أن ورقة كان

[١] جواد علي – مرجع سابق ص ٤٦٣.

يمر بمكة فيرى بلالاً وهو يعـــذب، يعذبـــه المشـــركون برمضاء مكة يلصقون ظهـــره بالرمضـــاء ويضـــربونه يريدون منه أن يشرك بالله، فلا يشرك بـــه، يـــأبى إلا أن يقول: أحد أحد فيرثي ورقة لحاله ويقول: أحد أحد والله يا بلال والله لئن قتلتموه فأنتم من الخاســـرين أو (والله لـــئن قتلتموه لأتخذن قبره حناناً)[1].

نلاحظ بأن الفكر الإسلامي يمتـــد بجـــذوره للنبـــي إبراهيم عليه السلام والحنفاء بدورهم يمثلون تجســـيداً وامتـــداداً لهذا الفكر. كما ذكرت أن التسميات الدينية شكلية.

إن الرسالة الإلهية عبر رسله وأنبيائه تســـعى إلـــى الرقي بالمجتمعات الإنسانية وهي تتقاطع مـــع المجتمـــع المدني والمفكرين التنـــويريين الـــذين يســـعون بـــالرقي بمجتمعاتهم.

والدين لم يقف ولن يكون حاجزاً أمام العقل ولا أمام الحريات الإنسانية إن من وقف عند فكر ومنهج المســـيح

[1] نفس المرجع ص ٥٠٢.

عيسى عليه السلام والذي تمسك أيضاً بفكر موسى عليه السلام فهم ليسوا على خطأ إذاً فلا اليهود ولا المسيحيون على الطريق الضال لأن الدين هو تجربة ذاتية وعلاقة خاصة بين الإنسان والله عز وجل وبما أنه لا اختلاف بين الأنبياء في التعاليم الإلهية فالكل ينهج نهجاً خاصاً به للوصول إلى الحقيقة ولا يحق لأحد الحكم على هذه التجربة بصوابها أو خطئها إلا الله عز وجل. إن نشوء الصراع بين الديانات هو نتيجة الجهل فهو صراع الجهلاء.

## محمد ﷺ مفكر إلهي ودنيوي

إن النقوش الكتابية التي وصلتنا من جنوب الجزيرة العربية وشمالها لدليل قاطع على وجود من يجيد القـــراءة والكتابة بين عرب الجاهلية. هذا بالإضافة إلى ما يحتمـــه النشاط التجاري الخارجي والاتصال مع الأمم المجـــاورة وكتابة العقود والإيلافات من معرفة بأداتي الاتصال هاتين كما أن وجود اليهود النصارى بـــين ظهرانـــي العـــرب. وقراءاتهم لكتبهم المقدسة. وتعليمهم أولادهم فـــي البيـــع والكتاتيب الخاصة. لا بد أن يكون قد دفع بعض العـــرب إلى تعليم أبنائهم وفي الحقيقة لقد كان هنـــاك عـــدد مـــن العارفين بالقراءة والكتابة عند ظهور الإسلام من الرجال والنساء على حد سواء[1].

ومن خلال ما عرفناه عن الحنفاء نقـــول بمـــا أن النبي محمد ﷺ حامل منهج فكري إلهي إلى مجتمع اتضح

---

[1] د.ليلى صباغ . المرأة في التاريخ العربي في تاريخ العرب قبـــل الإســـلام وزارة الثقافة دمشق ١١٧٥ ص ١٠٨.

لنا أنه مجتمع معرفة ومتنور ومتحضر يقرأ ويكتب معظم أفراده.

يجب أن يكون على سويتهم المعرفية إذا لم يكن أفضل منهم فكرياً فهذا بدوره يتطلب منه القراءة والكتابة وهذا ما أكده النص الديني. عكس ما هو متوارث في الذاكرة الشعبية الإسلامية قوله تعالى:

﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ سورة الجمعة آية (٢).

هذا يعني وبشكل واضح،إنه يجب معرفة حكمه النص وبعده الرمزي وأن محمدا ﷺ كان يَعلم و يُعلم القراءة والكتابة.

حيثُ كانوا في ضلال لبعدهم عن الحقيقة وليس القراءة والكتابة وجهلهم بها؟

فالأمي يعني إنه قبل الإسراء مثل إبراهيم عليه السلام لـــم يكن على إطلاع عميق بحقيقة شجرة الخلد والملك الذي لا يبلى. فهذا ينطبق على من أرسل إليهم.

وبالتالي كانوا أميين مثل الذين لا يجيدون القـــراءة والكتابة

قوله تعـــالى: ﴿الَر كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ سورة ابراهيم آية (١).

**وما يؤكد أيضاً أن محمد ﷺ صاحب منهج فكري.** **قوله تعالى:** ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُـــمْ كَـــانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَـــقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُـــمْ أَطْهَـــرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَـــا أَن

تَنكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِن بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمًا﴾
سورة الأحزاب آية (٥٣).

معظم التفاسير قالت بأن هذه الآية نزلت عندما مكث بعض الصحابة طويلاً يوم زواج النبي بزينب. وأطـــالوا الجلوس حول المائدة. فوردت الآية جامعـــة لآداب منهـــا المنع من إطالة المكث في بيوت الناس.

يلاحظ بأن هذا الخطاب للمؤمنين فأين الغير مؤمنين من هذا الخطاب التعليمي للآداب.

إذا تعاطينا مع النص حرفياً وعدم الرقـــي لحكمـــة النص و بعده الرمزي ؟

فهو لا يعكس نظرة إيجابية عن المؤمن.

ثانياً: هم دخلوا بإذن ودعوة ولكن لم ينصرفوا هـــذا ماقاله النص لنا. فكان على النص أن يعلـــم آداب عـــدم الجلوس طويلاً وليس أذن دخول البيـــت هـــذا موضـــوع النص.

هل بيوت النبي ﷺ مخصصة فقط للولائم والطعام؟

فكل هذه المعطيات مؤشر كبير لنا على معرفة حكمة النص لأنهُ من خلال البحث سنحقق السعادة المرجوة لنا من الله عَز وجل . أي عليكم الالتزام بالقواعد الفكرية وأصولها وعندما تنالون العلوم الروحية عليكم أعطاؤها لأهلها بدون تأخير وبلا تردد لأن في ذلك صلاحاً للنفوس واستنارة لها.

قال رسول الله ﷺ: « أنا مدينة العلم وعلي بابها »، إذاً منهج محمد ﷺ تنويري بالحقيقة الإلهية.

والظروف التاريخية حتمت عليه إنشاء دولة إسلامية جمعت السلطتين الروحية والدنيوية. ولكن بعد وفاته أصبح حكم الدولة دنيوياً (جمهوري) وليس روحياً وإن الله عز وجل لم يطلب من محمد ﷺ عليه إقامة دولة دينية ولكن عندما انتقل من مكة إلى المدينة أقام الدولة.

ويرتكب خطأً كبيراً كل من يريد أن يقيم الدولة على أساس ديني وإلغاء التعددية التي تجسد إرادة الله عز وجل في العالم.

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ سورة الحجرات آية (١٣).

لأن ذلك يعكس الجمال الإلهي في الكون من خـــلال تنوع الثقافات والحضارات.

« الرجل من صنع المرأة، فإذا أردتم رجالاً عظاماً أفاضل فعليكم بالمرأة تعلمونها ما هي عظمة النفس، وما هي الفضيلة ».

**جان جاك روسو**

عندما نقل الإنسان عقله من رأسه إلى جسده احتقــر المرأة وعندما أعاده إلى مركزه احترمها لأنـــه وجـــدها تستحق ذلك.

**عزت**

# النساء قوامون على الرجال

# في المعرفة الروحية عند الله عز وجل

من هنا قال محمد ﷺ: «الجنة تحت أقدام الأمهات».

(إن النظم الاجتماعية والقوانين والتقاليد كلها من فجر البشرية حتى مشارف العصر إضافة لليهودية والمسيحية، تحالفت على تأخير المرأة. وإعطائها صفة دونية وحرمتها من الحقوق والاستقلال بكل شؤونها وفرضت عليها وصاية الأب. وحدث هذا قبل ظهور الإسلام بوقت طويل بحيث تجلى القول إن الحجاب فرض نفسه على الإسلام لا أن الإسلام فرض الحجاب على المرأة)[1] وهناك أبحاث تقول في بدء الحضارات البشرية كانت تقدس المرأة. فكانت الأم رمز الخصب والعطاء في

---

[1] جمال البنا – الحجاب – دار بتر للنشر والتوزيع دمشق ٢٠٠٧ ط١ ص ٨١.

الألف الثامن ق. م في سورية. وكان لكل مدينة ســومرية إله أو آلهة مثل إنانا مــن أوروك ونيســابا مــن أومــا ونينجرسو من لاجاش من كيش ونيشباك من إشنونا ونانا من أور.

## نظرية محمد ﷺ نظرته للمرأة:

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ قال: (حبب إلي من الدنيا النساء والطيب وجعلــت قــرة عيني الصلاة).[1]

إذاً محمد ﷺ لم يكن يعيش في هذه الدنيا كغاية فــي حد ذاتها.

نلاحظ ذلك من خلال هذا الحديث الذي يتضح جلياً فيه طلب الله عز وجل لمحمد التعامــل مــع المواضــيع الثلاثة بقدسية لماذا؟

وإنه قدم حب النساء على الطيب والصلاة أيضاً؟

---

١-مصطفى طلاس.المصطفى من أحاديث المصطفى.دارطلاس.ط٥. ١٩٨٥ ص٦٨٣

لأن النساء يشبهن الإله ويشاركنه بالخلق من حيـــث الحمل والولادة وأنهن أيضاً يصنعن الإنسان عندما يـــنلن المعرفة والعلم وحتى بالفطرة يتجلى ذلك أحياناً.

## اللّه عز وجل

## ورؤيته للمرأة من خلال النص الديني

هناك سور باسم النساء ( مريم ) والنساء.

سنجد بأن النص القرآني يخبرنا مـــدى أهميـــة دور المرأة الحضاري في المجتمع الإنساني عبر التاريخ وهذا الدور قد منحها إياه الله عز وجل فلماذا نحـــن المؤمنـــون بالقرآن الكريم لا نتعلم ونقر بهذه الحقيقة ونعطي المـــرأة ما منحها الله عز وجل من دور ديني وتنويري.

قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَتِ امْرَأَةُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٣٥) فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَى وَاللّهُ أَعْلَـــمُ بِمَـــا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنثَى وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وِإِنِّي أُعِيذُهَا

بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ (٣٦) فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَـــا بِقَبُـــولٍ حَسَنٍ وَأَنبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَـــلَ عَلَيْهَـــا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقاً قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَـــذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللّهِ إنَّ اللّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَـــابٍ (٣٧)﴾ سورة آل عمران.

مكانة المرأة عند الله واضحة وما هو دورهـــا وقـــد ذكرنا ذلك في بحثنا السابق آدم وعيسى وشجرة المعرفة، ونحن نلاحظ في هذا النص أفضلية المرأة بالنسبة للإلـــه على الرجل وذلك عند ما قالت ( ليس الذكر كـــالأنثى )، مع العلم بأن مولودها هو أنثى من المفـــروض أن تقـــول ليس الأنثى كالذكر لو قالت ذلك لكان الذكر أفضـــل مـــن الأنثى ولكن بما أنها قالت لله رب العالمين لـــيس الـــذكر كالأنثى هنا أتى تفضيل الأنثى على الذكر وكيف تقبلهـــا ربها بالقبول الحسن ووهب لها عيسى. وكيف الملائكـــة كانت تتسابق لكفالة مريم عليها السلام.

قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلآئِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ سورة آل عمران آية (٤٥).

من خلال الاصطفاء لمريم نجد أن الله أعطى المرأة الدور في نشر الوعي والفكر الإلهي في المجتمع الإنساني إلى جانب دورها الدنيوي في المجتمعات المدنية.

وإن الله عز وجل لم يفصل بين الرجال والنساء في بيوت العبادة بل أمرها أن تسجد وتركع مع الراكعين وأن تؤدي طقوسها الدينية في بيوت العبادة.

في قوله تعالى: ﴿وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا (٢٥) فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا (٢٦)﴾ سورة مريم.

ذكرنا في بحثنا آدم وعيسى عليهما السلام وشجرة المعرفة وقلنا ما هي العلاقة بين الغذاء المادي والصوم عن الكلام وقلنا بأنها أمرت بأخذ العلوم من شجرة المعرفة وعدم

إعطاء هذه العلوم لأهل دعوتها من المفكرين بشكل كامل وواضح وإنما عليها التحدث لهم بلغة الرمز. فهذا يؤكد أيضاً الدور الفكري للمرأة الذي منحها إياه الله عز وجل.

وأيضاً نجد عدم فصل المرأة عن الرجال في النص الديني قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَاءتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُواْ سَلاَمًا قَالَ سَلاَمٌ فَمَا لَبِثَ أَن جَاء بِعِجْلٍ حَنِيذٍ (٦٩) فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لاَ تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُواْ لاَ تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ (٧٠) وَامْرَأَتُهُ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَقَ وَمِن وَرَاء إِسْحَقَ يَعْقُوبَ (٧١)﴾ سورة هود.

إذا كان إبراهيم عليه السلام أبو المسلمين ولم نجد بأنه حجب امرأته عن ضيوفه بل كانت جالسة إلى جانبه ومعهم فمن أين استمد البعض سلوك الفصل بين الرجال والنساء؟

## المرأة في المرحلة الإسلامية (محمد) عليه السلام

لقد شهد المسجد الأول في المدينة حضوراً حقيقياً للنساء، ولم يفصل بينهم وبين الرجال غير بضعة أذرع إذاً كن قدامهم ومسافة أقل إذا كن وراءهم.

وفي المسند عن عبد الله بن عمر (أن النساء والرجال كانوا يتوضؤون معاً في العهد النبوي ولم يقيد حضورهن المسجد بوقت الصلاة فحسب. وإنما في أي وقت يشاركن في الكلام والمناقشات مع الرجال ويختلطن بهم في الطواف حول الكعبة وأقر (ول ديورانت) هذا النوع من المشاركة بأن الرسول ﷺ كان (يسمح للنساء أن يحضرن الصلاة في المساجد وكن إذا جئن إليه للصلاة أحسن معاملتهن ولو أتين معهن أطفالهن). وقد روي عنه أنه إذا سمع بكاء طفل في أثناء الصلاة قصر خطبته حتى لا يؤذي بطولها أمه[١].

---

[١] د. فاضل الأنصاري. العبودية والرق والمرأة بين الإسلام الرسولي والإسلام التاريخي الأهالي دمشق ط١ ــ ٢٠٠١ ــ ص ٢٧٤-٢٧٥.

وذكر بأن فاطمة الزهراء (رضي الله عنها) ابنة رسول الله ﷺ عرفت ببلاغتها وقدراتها الخطابية حتى وصفت بأنها أشبه حديثاً وكلاماً برسول الله ﷺ وكانت تلقي الدروس والمحاضرات على ملأ ممتزج من الرجال والنساء.

قال رسول الله محمد ﷺ: (ما أكرم النساء إلا كريم وما أهانهن إلا لئيم).

أما بخصوص آيات النساء قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ سورة الممتحنة آية (١٢).

من المفروض على النبي محمد ﷺ أن يأخذ العهد على النساء الغير مؤمنات بهذه القوانين الأخلاقية.

وأن يطلب منهن أداء اليمين ويعاهدنه بالالتزام بهذه القضايا الأخلاقية وبعد ذلك يصبحن مؤمنات.

فأما في النص فنجد بأن المؤمنات هـن المطالبـات بالالتزام بهذه الأخلاقيات والابتعاد عن هـذه السـلوكيات اللاأخلاقية ومبايعة الرسول ﷺ حول هذه المسائل.

فالنص غير واضح إذا تعاملنا معه حرفياً؟

أين المؤمنون ألا ينطبق هذا النص عليهم فلماذا لـم يذكروا؟

هل هم زانيات ومشركات وهـن مؤمنـات بـنفس الوقت؟

أما في قوله تعالى: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِئَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِن كُنـتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ (٢) الزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ (٣)﴾ سورة النور.

أيضاً سنقع في إشكالية إذا تعاملنا مع النص حرفيـــاً لماذا؟

لأننا نجد من النص تحليل لفعل الزنا؟. وحرم ذلـــك على المؤمنين؟

وما علاقة الزاني بالمشرك أو الزانية بالمشركة؟

لو لم يكن هناك رابط مشترك لم يذكر الله عز وجل ذلك.

أليس من الممكن للمؤمن أو المؤمنة أن يقعــوا فـــي فعل الزنا المادي؟ وبالتالي سيتم خرق هذا القانون.

ولكن الزنا المقصود هنا هو الفوضى، والخلل فـــي النظام الفكري الإلهي والخروج عن قواعده وأصوله وهو شبيه بقوم لوط[1].

---

[1] انظر كتاب يوسف والأحد عشر كوكباً. لوط والشذوذ الفكري.

إذا نظرنا إلى بداية السورة نجد بأن الزنـــا العـــادي المادي محرم سماوياً وبمتابعة النص نجــد بـــأن الزنـــا الفكري يشبه الزنا المادي فهو محرم.

وهنا تكمن قوة النص وإعجازه الإلهي في التقـــاطع ما بين الظاهر والباطن واستمراريته في الوجـــود وفهـــم الحركة الفكرية في التاريخ الإنساني.

وفي قوله تعالى عن قصة مريم: ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَـــلَ عَلَيْهَـــا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقاً قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَـــذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللّهِ إنَّ اللّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاء بِغَيْرِ حِسَـــابٍ﴾ سورة آل عمران آية (٣٧).

أي أن زكريا قد كفلها فكرياً عليه السلام كلما دخل عليهـــا محراب الفكر وجد عندها من العلوم ما يدهشه لأنه هـــو الوحيد المسؤول عن تلقينها هذه العلوم. فسألها من أيـــن لك هذا فقالت: من عند ربي أي حصلت على هذه العلوم

عن طريق الإلهام ولو كان غير ذلك أي لو أخـــذت هـــذه العلوم عن غير طريق زكريا عليه السلام تكون بذلك قد زنت.

هذا هو الزنا في التأويل ألا يكتسب هـــذا التحليـــل مشروعيته.

**أما بالنسبة لمحمد ﷺ**

أي يا محمـــد ﷺ إذا عاهـــدك المؤمنـــات (حجـــج المعرفة) بالالتزام بالقواعد الفكريـــة بمنهجهـــا الصـــحيح بايعهن وتقبلهن في محراب فكرك.

نتابع موقع النســـاء: ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ سورة الأحزاب آية (٣٢).

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ سورة الأحزاب آية (٥٩).

اتضح معنا من الآيات السابقة معنى النساء ومكانتهن ومن قصة موسى عليه السلام وفرعون ودلالاتهن فالنساء هن حجج النبي ورجال فكره، وكيف يجب عليهن الالتزام بنهج المعرفة والالتزام بقواعدها، وأنهن هن من ناصرنه في رحلته المعرفية والفكرية في المجتمع العربي آنذاك ومن أراد المعرفة منهن فعليهن أن يضعوا أصول وقواعد لهذه المعرفة مثل مريم عليها السلام وحجب المعرفة عن غير أهلها وليس المقصود من ذلك اللباس (الحجاب).

قوله تعالى: (يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ) لو كان المقصود به اللباس العادي لكان قال لهن غيرن ملابسكن أما قوله من جلابيبهن أي نفس ملابسهن أي أنه من فكرهن يصنعن فلسفة الرمز كمريم وأن يسترنه عن غير أهله.

وأن اللباس ليس له علاقة بالأخلاق فهو رهن العادات والتقاليد الاجتماعية لمختلف الحضارات وأن

قصة آدم ﵇ شاهد كبير على ذلك عندما ذكرنا وقلنا ما علاقة المعنوي بالمادي.

فلما أنزل الله لهما لباس التقوى، عندما أرتكب الخطيئة الفكرية وتعاطى بالممنوع عنه والمسموح به لإبليس من قبل حيث كان على اطلاع كامل حول حقيقة شجرة الخلد والملك الذي لا يبلى وهو لم يتسنَ لآدم ﵇ الاطلاع عليه، فهو وقع في الخطيئة فأعطاه الإله منهجاً فكرياً كي يلتزم به وزوجه حواء (لباس التقوى).

أما اللباس فهو على الشكل التالي:

ينفي الكاتب زناتي احتجاب النساء في الجاهلية وفي عصر النبوة والخلفاء الراشدين والدولة الأموية، ليرجعه إلى التقاليد الآشورية السائدة في التاريخ القديم قبل الميلاد في العراق مستنداً إلى لوحة طينية عثر عليها في مدينة آشور القديمة نقش عليها أحكام خاصة بحجاب النساء جاء في مقدمتها.

لا زوجـــات الرجـــال ولا الأرامـــل ولا النســـاء الآشوريات اللاتي يخرجن إلى الطريـــق يمكـــنهن تـــرك رؤوسهن مكشوفة، سواء ارتدين شالاً أم جلباباً أم عبـــاءة لا ينبغي لهن ترك رؤوسهن مكشوفة، السرية التي تخرج إلى الطريق مع سيدتها يجب أن تحجب نفســـها، العـــاهر المقدسة يجب أن تحجب نفسها في الطريق أما التـــي لـــم يتزوجها رجل يجب أن تترك رأسها مكشوفاً في الطريق ويجب ألا تحجب نفسها والمومس يجب ألا تحجب نفســـها ويجب أن يكون رأسها مكشوفاً[١].

لقد كان الآشوريون أول من فرض الحجـــاب علـــى النساء في التاريخ القديم.

وقد وصل الحرص على التفرقة بين الحرائر والإماء إلى توقيع عقوبات قاسية على من يـــرى أمـــة أو عـــاهراً محجبة في الطريق ولا يقوم بتقديمها إلـــى القصـــر لتلقـــى

---

[١] د. عايدة الجوهري. رمزية الحجـــاب ومفـــاهيم دلالات ط١ ٢٠٠٧ص١١٦-١٢٠.

جزاءها وذلك بأن يخلع عنها ثوبها، وتجلد خمسين جلدة وتثقب أذناها ويمرر بينهما خيط يعقد خلف ظهرها وتعمل من أجل الملك شهراً كاملاً أما المومس أو الأمة التي تتنقب في الطريق فتجلد خمسين جلدة ويصب النار على رأسها.

أما عن كيفية انتقال هذه العادة إلى العرب المسلمين فذلك يعود إلى اقتباس الفرس هذه العادة عن الآشوريين ونقلها إلى الجزيرة العربية بالإضافة إلى نظام الحريم وعندما فتح المسلمون بلاد فارس (إيران) وجدوا النساء معزولات عن الرجال داخل (الحريم) وبدؤوا يرغمون نساءهن على الاقتداء بالفارسيات وغزا الحجاب قصور الخلفاء العباسيين في بغداد ثم بقية الناس وأغلبهم كانوا فارسيي الأصل، وانتشر من بغداد إلى باقي المدن الإسلامية.[1]

ويظن أن الكاتب والفيلسوف الفارسي الأصل عبد الله بن المقفع هو أول من دعا إلى تحجيب المرأة وأن أبا

---

[1] المرجع السابق ص١٢٠.

مسلم الخراساني (الفارسي) قائد جيش بني العباس هو أول من منع خروج النساء مع الجنود للقتال فيما كان الأمر مباحاً في صدر الإسلام[1].

**يقول المفكر جمال البنا:**

( فمن الواضح أن وضع اللباس على الرأس أمر اقتضته الدواعي المناخية سواء كانت حماية للرأس من البرد والحر والمطر، أو ستراً له من التراب والرياح، وهذا أمر ينطبق على الرجال والنساء على حد سواء، وعند العرب أيام ظهور الإسلام كان الرجال يضعون العمائم وكانت النساء تضعن الحجاب وقد يختلف الشكل من دولة وأخرى )[2].

---

[1] رمزية الحجاب ص١٢٠.

[2] جمال البنا –ص٢٢.

# تعدد الزوجات

ول ديورانت بأن (رجال الدين في العصور الوسطى ظنوا بأن تعدد الزوجات للزوج الواحد نظام ابتكره محمد ابتكاراً لم يسبقه إليه أحد لكنه في الواقــع نظــام ســابق للإسلام بأعوام طوال لأنه النظام الذي ساد العالم البــدائي وهنالك من الأسباب عدة عملت كلها علــى تعمــيم هــذا النظام ونشره، أولها أن حياة الرجال في المجتمــع الأول كانت أشد عنفاً وأكثر تعرضاً للخطر بسبب اضــطلاعهم بالصيد والقتال ولذا زاد الموت في الرجــال عليــه فــي النساء واطراد الزيادة في عدد النساء يضع أمام المــرأة اختياراً بين حالتين: إما تعدد الزوجات للرجل الواحد وإما عزوبية ليس عنها محيص لبعض النساء، لكن مثل هــذه العزوبية للمرأة لا تنظر إليها بعين الرضا شعوب تريــد نسبة عالية من الولادة تقابل نسبة عالية في الوفــاة ولــذا

ترى أمثال تلك الشعوب تزدري المرأة العانس، والمرأة العقيم وتأتي هذه الأسباب أن الرجال يميلون إلى التنوع[1].

هل الأحداث التاريخية بما تحمله من قيم أخلاقية هي التي فرضت على الإله إنزال الآيات المختصة بالأخلاق؟ أم الأخلاق قوانين إلهية ثابتة منذ وجود الإنسان حتى يومنا هذا؟

مثلاً الزنا زنا بغض النظر عن الزمان والمكان أيضاً الخيانة والغش والسرقة....

ألا يمكن أن نعتبر النص الديني رمزياً وهو ما تبين لنا في معظم أبحاثنا السابقة حيث يتعامل مع المعطيات الاجتماعية بدلالات رمزية للنظام الفكري الروحي الإلهي؟

إذاً لم يكن لقصص الأنبياء مغزى وهدف سام يجب الارتقاء إليه لماذا ذكرها الله عز وجل؟ كسرد تاريخي روائي بدون غاية؟...

[1] د.فاضل الأنصاري.مرجع سابق ص٣٠٢.

وأيضاً ما يخص آيات الحساب والعقاب حدد الإلــه بأنه هو من أرسل هذه الآيات التي تتضمن الحكمة التــي ينبغي أن نرتقي إليها فكريا و روحيا.

قوله تعالى:

﴿وَمَا نُرْسِلُ بِالآيَاتِ إِلاَّ تَخْوِيفًا﴾ سورة الإسراء آية (٥٩) .

ليست الأحداث و الوقائع الموضوعية التي جرت في المجتمع الإنساني كانت السبب الوحيــد فــي نــزول الآيات القرآنية؟.

# الموؤودة الممنوعة من إرتشاف المعرفة

## المرأة العربية في الجاهلية:

﴿وَإِذَا الْمَوْؤودَةُ سُئِلَتْ (٨) بِأَيِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ (٩)﴾ سورة التكوير.

شكلت المرأة العربية في العصر الجاهلي العنصـــر الأساسي في تكوين المجتمع فكانت شاعرة وأديبة وناقـــدة ومربية أطفالها على القيم الفاضلة.

فهذه الخنساء لقد جمعت الشعر والنقد معاً وقصـــتها مع النابغة وحسان بن ثابت دليل على ذلك .

حيث أنشدت أمام النابغة الذبياني قصيدتها التي تقول فيها:

وإن صخراً لمولانا وســيدنا

وإن صخراً إذا نشتو لنحـــار

وإن صخراً لتأتم الهداة به

كأنه علم في رأسه نار

فقال النابغة: لولا أن أبا بصير (الأعشى) أنشدني لقلت إنك أشعر أهل الأرض فأهاج هذا غيرة (حسان بن ثابت) فقال للنابغة: أنا أشعر منك ومن أبيك بقولي:

لنا الجفنات الغر يلمعن في الضحى

وأسيافنا يقطرن من نجدة دما

فطلب النابغة من الخنساء أن ترد عليه فقالت: أضعفت افتخارك في ثمانية مواضع قلت الجفنات والجفنات ما دون العشر فلو قلت الجفان لكان أكرم ولو قلت البيض لكان أكثر اتساعاً وقلت يلمعن واللمع شيء يأتي بعد شيء ولو قلت يشرقن لكان أكثر لأن الإشراق أدوم من اللمعان وقلت بالضحى ولو قلت بالدجى لكان أكثر طراقاً وقلت أسيافنا والأسياف ما دون العشرة ولو قلت سيوفنا كان أكثر وقلت يقطرن ولو قلت يسلن لكان أكثر وقلت من نجدة والنجدات أكثر من نجدة، وقلت دماً والدماء أكثر من الدم فلم يجد حسان جواباً وانصرف مستحياً.

وأما ندبة زوجة (حذيفة بن بـــدر) فـــي مطالبتهـــا زوجها بأخذ ثأر ابنها وقد قتله (قيس بن زهير العبســـي) في حرب داحس والغبراء) فقد قالت له بكبرياء وعزة:

أما تخشى إذا قال الأعادي

حذيفة قلبـــه قلـــب البنـــات

فخذ ثأراً بأطراف العـــوالي

وبالبيض الحداد المرهفـــات

لعل منيتي تـــأتي ســـريعاً

وترمني ســـهام الحادثـــات

أحب إلي من بعل جبان

تكون حياتـــه أردى الحيـــاة[1]

[1] د. ليلى الصباغ. مرجع سابق. ص ٣٦٦.

فالمرأة العربية في الجاهلية كانت تغرس منذ نعومة الأظافر المعاني الرفيعة في نفوس أطفالها الذكور والإناث على حد سواء وترنمهم بذوق الكلمة وفصـــاحة اللســـان وتسعى لإبعادهم عن سماع دنية وبذيئة ولاسيما إذا كانت من السادات وتتعهدهم بالرعاية والملاحظة موضحة سبل الخير لهم والصلاح والفلاح[1].

وإلى جانب غرس مختلف هذه القيم فإنها كانت تعلم ابنها وابنتها على السواء بالقــدوة والممارســـة الفعليــة. العادات والأعراف المتداولة وأهمها آداب السلوك كعــدم الدخول إلى البيوت إلا بإذن أصحابها فهذه منفوسة بنـــت زيد الخيل تقول:

أشبه بأخي أو أشبهن أباك

أما أبي فلـــن تنـــال ذاك

تقصر عن فعاله يداك

---

[1] المرأة في التاريخ ص ٢٣٨.

أما فاطمة بنت أسد وهي ترقص ولدها عقيل ابن أبي طالب ابن عم الرسول ﷺ:

أنت تكون ماجد نبيل إذا تهب شمأل بليل

ومن هدهدة (أم الفضل بنت الحارث) لابن عبد الله بن العباس قولها:

ثكلت نفسي وثكلت بكري

إن لم يسد فهراً وغير فهر

بالحسب الواني وبذل الوفر

وهذه سفانة (ابنة حاتم الطائي) قالت للنبي عندما رفضت هي وقومها دخول الإسلام طالبة الإفراج عنها وعن بني قومها: يا محمد ﷺ هلك الوالد وغاب الوافد فإن رأيت أن تخلي علي ولا تشمت بي أحياء العرب فإن أبي كان سيد قومه يفك العاني ويقتل الجاني ويحفظ الجار ويحمي الذمار ويفرج عن المكروب ويطعم الطعام ويفشي السلام ويحمل الكل ويعين على نوائب الدهر وما أتاه أحد في حاجة فرده

خائباً، أنا بنت حاتم الطائي. وقد أجابها الرسول الكريم ﷺ: يا جارية هذه صفات المؤمنين حقاً لو كان أبوك مسلماً لترحمنا عليه أخلو عنها فإن أباها كان يحب مكارم الأخــــلاق وامــــتن عليها بقومها فأطلقهم تكريماً لها. ١

وفي مسألة الزواج كان الأب يعطي ابنته حق اختيار زوجها من بين عدة من مرشحين كما كان يستشيرها بمن تقدم إليها خاطباً مع أن له في العرف مطلق الصلاحية في تزوجها لمن أراد وفي الواقع كان الأب ولا سيما إذا كان من السادة، يدقق في الزوج المرجو لابنتــــه باحثــــاً عـــن الأكرم خلقاً ومالاً حتى يحقق السعادة لها وفي الوقت ذاته يرضي كبرياءه ويدعم فخره فهو إذاً لم يكن ليسلمها لأول طالب زواج تكرهاً من وجودها وخلاصاً منها

---

١-المرجع السابق ص٢٣٨

ومن الذي اشتهروا في العصر الجاهلي في هذا البـــاب (أوس بن حارثة الطائي) من أسياد قبيلة طي الكرام فقد كان

يرد كل خاطب يفد إليه، مع أن له ثلاث بنات في ســـن الزواج إلا أنه عندما نصحته زوجته بأن يقبل (الحارث بـــن عوف) خطيباً لواحدة منهن فإنه قبل لأنه رآه فـــي المســـتوى الذي يبتغيه، ولكن بعد أن استشـــارهن واحـــدة واحـــدة وإن الحوار الممتع الذي دار بين الأب والبنات الثلاث له صـــورة بارزة توضح العلاقة الحرة التي كانـــت ســـائدة بـــين الأب العربي وابنته في أوساط السادة ويتبين حديث الفكر الناضـــج للفكر الواعي والثقة والحرية اللتين وقفت البنت تنـــاقش بهـــا أباها نداً لند، فقد روت الأخبار (أنه استدعى كبرى بناته إليـــه فقال لها: يا بنية هذا الحارث بن عوف ســـيد مـــن ســـادات العرب قد جاءني طالباً خاطباً وأردت أن أزوجك منـــه فمـــا قولك؟

قالت: لا تفعل قال: ولم؟ قالت لأننـــي امـــرأة فـــي وجهي ردة (قبح) وفي خلقي بعض (العيب) ولست بابنـــة عمه فيرعى رحمي وليس بجارك في البلد فيستحي منـــك

ولا آمن أن يرى مني ما يكره فيطلقني ويكون علي من ذلك ما فيه قال: قومي بارك الله عليك.

ثم دعا ابنته الوسطى وقال لها ما قاله لأختها فأجابت بمثل جوابها مؤيدة رفضها بقولها: إني خرقاء وليست بيدي صنعة ولا آمن أن يرى مني ما يكره فيطلقني فيكون على من ذلك ما تعلم وليس بابن عمي فيرعى حقي ولا جارك في البلد فيستحيك قال: قومي بارك الله فيك.

وأخيراً استدعى الثالثة (بهيسة) وقال لها ما قاله لأختيها فقالت بصراحة (أنت وذاك) قال: قد عرضت الأمر على أختيك فأبتا فقالت: (لكنني والله الجميلة وجهاً الصناع يداً الرفيعة خلقاً الحسيبة أباً فإن طلقني فلا أخلف الله عليه بخير فقال: بارك الله فيك وزوجها من الحارث).

فالأم كانت تعلم ابنتها كيف تمارس جميع الأعمال البيتية التي تمارسها هي وتربية الأطفال وغزل الصوف والوبر ونسجها ودبغ الجلود وخرز الدلاء وكل جزئيات

الاقتصاد المنزلي وصناعاته وخدماته بل أن الأم في الأسرة الفقيرة قد تعمل على تعليم ابنتها الحرفة التي تمكنها من أن ترتزق منها وقد تجعلها تمارس العمل الزراعي إذا كانت هي تمارسه أو العمل التجاري وعلى هذا المنوال تنمو (بنت) في المجتمع العربي الجاهلي وهي صورة عن أمها ولذا فقد كان من أمثال العرب (لا تعدم ناقة من أمها).

## الوأد ومنشأه في العرب الجاهلية

هناك من النساء من استكان للواقع فعنــدما خيــرت بين أزواجهن والعودة إلى أهلهن اخترن البقاء إلى جانب من سباهن مع أن بعضهن ممن لها زوج وولد مثل (هند) زوجة الحارث بن عمرو ملك كندة التي سباها ابن هبولة النساني فعندما استردها زوجها بعد قتل سابيها يقال: بأنها جابهت زوجها بتفضيلها ابن هبولة عليه فقتلها.

يرى البعض بأن فكرة (وأد البنات)

عندما قام ملك الحيرة (النعمان بن المنذر) بتجريــد حملة على (بني تميم) أوقعت برجالهم وسبت نساءهم فلما طلبوا منه فداء النسوة اشترط إعطاء الخيار لهــن ممــن أرادت العودة إلى زوجها وولدها رددن إليهم ومن فضلت البقاء عند من سباها بقيت وكان من بينهن بنت (قيس بن عاصم المنقري) الذي ينسب إليه إيجــاد أول وأد للبنــات فاختارت آسرها على زوجها فقرر أبوها منذ ذلك الوقت

أن يدس كل بنت تأتي له في التراب فوأد بضع عشرة بنتاً وقلده كثيرون وتنسب قصة مماثلة إلى قبيلة ربيعة[١].

ومن الذين سعوا للقضاء على ظاهرة الوأد جد (الفرزدق) الشاعر المشهور في العصر الأموي وهو (صعصعة بن ناجية من أشراف تميم فقد كان يشتري البنات ويفدي كل واحدة بناقتين عشراوين وجمل وقد جاء الإسلام وعنده ثلاثون موؤُودة وقد روى أنه افتدى أربعمائة بنت وقيل ٣٠٠ جارية من الجاهلية حتى الإسلام وقد قال الفرزدق متفاخراً بذلك:

وجدي الذي منع الوائدات

وأحيا الوئيد فلم يوأد

وقيل الشيء يذكر من (عمر بن ثقيل) الذي روي عنه أنه كان يقول للأب: أنا أكفيك مؤونتها فإذا ترعرعت

[١] المرجع السابق. ص ١٥١.

قال لأبيها: إن شئت دفعتها إليك وإن شئت كفيتك مونتها[1].

العلاقة بين البنت وأبيها هو دليل على الاحترام المتبادل بينهما

الأولى: (إن أبي يكرم الجار ويعظم النار ينحر العشار بعد الخوار ويحمل الأمور الكبار).

الثانية: (أن أبي عظيم الخطر منيع الوزر عزيز النفر يحمد منه الورد والصدر).

الثالثة: (إن أبي صدوق اللسان كثير الأعوان لا يروي السنان عند الطعام).

الرابعة: (إن أبي كريم النزال منيف المقال: كثير القوال، قليل السؤال).

وقد حكمت الكاهنة التي استفتيت بأفضلهن أباً بأن (كل واحدة بأبيها معجبة).

---

[1] مرجع سابق. ص ٢٣٥.

في المجتمعات البدائية المنعزلة وسط إفريقيا أو الجزر النائية للمحيطين الهندي والهادي كما هو الحال عند اشتراط الزوج بأن يكون من خارج القبيلة أو قتل الأولاد الضعاف الذين تحمل بهم المرأة استثناء في فترة الإرضاع وفي وأد الإناث لإعادة الموازنة بين عدد الذكور والأكثر عرضة للقتل وغيرهم وتستهدف هذه النشاطات بالفطرة تلبية الحاجة لتنظيم الأسرة وتحديد الإنجاب كي لا ينمو عدد السكان بطريقة مخلة لإمكانات الطبيعة، وكان جارياً تغيير هذه العادات في الماضي بالقدر الذي تغيرت فيه المعايير لدى المجتمعات المحاربة التي احتاجت للأفراد وقوداً لحروبها.

وعند البوشمن الذي ينتشرون حالياً في صحراء كلهاري الإفريقية، يفترض أن تعتني الأم بطفلها لمدة أربعة سنوات في المتوسط كفترة إرضاع، فإذا تصادف وأنجبت الأم طفلاً جديداً قبل انقضاء تلك المدة، قاموا

بوأد هذا الطفل مما يجعل حجم الأسرة صغيراً لا يزيد عن سبعة أطفال على الأغلب[1].

فقد أباحت التقاليد الرومانية وقبلها الإسبارطية القديمة قتل الطفل المشوه ووأد الإناث، في حين كان يرحب بولادة الذكور الأصحاء وتقام الاحتفالات بتلك المناسبة[2].

إن العصر الأموي شكل بداية النقلة الأولى في الحط من شأن المرأة العربية في سياق سلسلة من الإجراءات لتغيير الآداب الاجتماعية لمعطيات تشكل الدولة الإمبراطورية الإقطاعية الجديدة.

تغيرت مفاهيم العفة والشرف بتكاثر الجواري والغلمان والخلفاء بالترف الجنسي وأن معاوية أول من اعتمد الخصيان في التاريخ الإسلامي لخدمته وللمحافظة

---

[1] د. فاضل الأنصاري .ص ١٦٠.

[2] د. ليلى الصباغ مرجع سابق ص٣٢٩ – ٢٤٠.

على زوجاته وسراريه. كان الخليفة يجرد الجواري مـــن ثيابهن بمحضر من جلسائه[1].

ومع يزيد بن معاوية كانـــت فاتحـــة عهـــد جنســـوي ومرحلة من التهتك المفرط والانغماس فـــي اللهـــو وحيـــاة القصور والإقبال على اقتناء الجواري والغلمان ممن تكاثرت أعدادها نتيجة الفتوحات وقد سبيت المسلمات العربيات.

وما جرى في المدينة عاصمة دولة الرســول الأولـــى عندما تمردت على بيعة يزيد سنة ثـــلاث وســـتين للهجـــرة لإسرافه في المعاصي نموذجاً لما حدث في تلك الفترة وانعكس بدوره على الموقف من المرأة حيث سبيت النساء وفضت ألف عذراء على يد الجيش الأموي أثر موقعه الحرة[2].

وقد شهدت تلك الفترة فصولاً جديدة فـــي التضـــييق والحجر على المرأة بمنعهـــا مـــن الاخـــتلاط وممارســـة النشاطات التي اعتادت القيام بها.

---

[1] د. فاضل الأنصاري ص ٣٨٠.

[2] مرجع سابق ص ٣٨١.

والذي فرق بين الرجال والنساء في الطواف حول الكعبة هو الخليفة الأموي سليمان بن عبد الملك[١].

ولقد أبقى العباسيون على إرث الأمويين بنظرتهم الدونية للمرأة.

**سؤال:** في حالة الوأد ــ يجب أن يسأل القاتل وليس المقتول، لأنه سيحاسب على جريمته.

وليس الطفلة المقتولة التي لا تعرف شيئاً فمن خلال السؤال من المحتمل أن تكون قد ارتكبت خطيئة ما هذا ما يظهرهُ السؤال في مضمونه.

وبما أن الموؤودة طفلة لا تعرف شيئاً من الحياة وسبب موتها، والله تعالى يعرف ذلك فلماذا يريد أن يسألها هذا السؤال؟

إذا الموؤُودة هي التي حرمت من ارتشاف العلم الروحي لخطيئة فكرية تكون قد ارتكبتها، فمن هنا ستسأل

[١] نفس المرجع السابق ص٣٨٣.

عن سبب خطيئتها التي كانت سبباً في طردها مــن جنــة المعرفة الروحية.

وانتقلت من حياة العقل إلى حياة النفس وهــو شــبيه بالموت والقتل.

أعتقد إن هذه الرؤيا نراها منطقية في الفهم والتفسير بعدما اتضح لنا تاريخية ومكان الوأد.

# الكوثر الأبجدية الإلهية

﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ (١) فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ (٢) إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ (٣)﴾ سورة الكوثر.

**الكوثر في التفسير**

الكوثر – النهر – عن كراع، والكوثر نهر في الجنة يشرب منه جميع أنهارها وهو للنبي ﷺ خاصة وفي حديث مجاهد (أعطيت الكوثر) وهو نهر في الجنة وهو (فوعل) من الكثرة والواو زائدة ومعناه الخير الكثير، وجاء في التفسير أن الكوثر القرآن والنبوة.

**سؤال:** إذا كان المقصود به نهر في الجنة لماذا سيصبح ملكية خاصة لمحمد ﷺ وما فائدة ذلك؟

أي لقد منحناك يا محمد ﷺ نهراً من العلوم الإلهية (القرآن الكريم) الذي لن ينضب ما دام الكون قائماً.

يجب أن تشكر الإله على هذه النعمة التـــي منحـــت إياها ( فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَر).

ألا يمكن أن يكون النحرهو أخذ العهد للإمام علـــي ﷺ وإعلان إمامته للملأ مثل إبراهيم ﷺ عندما أعلـــن **إمامة إسماعيل في سياق الأمر الإلهي**. قوله تعالى:

﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ (١٠٠) فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ (١٠١) فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُـــؤْمَرُ (١٠٢)﴾ سورة الصافات.

و هي شبيهة بقصة الذبح عند بني إســـرائيل عنـــدما أُمروا بذبح البقرة بدلاً من العجل وهي دلالةٌ على رجـــل المعرفة الأكثر علماً وحكمةً هذا ما تحدثنا عنهُ في بحثنـــا السابق أرض الميعاد فردوس المعرفة

(إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ) . إن عدوك الفكـــري لـــن تكون لدعوته حضور في العالم وفي المستقبل.

# أبا لهب

﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ (١) مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ (٢) سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ (٣) وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ (٤) فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ (٥)﴾ سورة المسد.

أبو لهب هو صاحب الدعوة الفكرية المناهضة لمحمد ﷺ، إن ما حصل عليه من العلوم لن تغيره بشيء أما امرأته فهي حجته في المعرفة وما تحمله من حطب أي ما تحصل عليه من العلوم عن طريق الكذب والبهتان وإن المسائل الفكرية التي تبنوها لا يستطيعون فهمها بأصول لأنها ليست من أصول دعوتهم وأنها خاصة بدعوة محمد ﷺ.

وإن هذا النص لا يتحدث عن العالم الآخر وما ستؤول إليه حالة أبي لهب وزوجته لأنه لا يوجد في العالم الآخر سوى الجنة ولا حضور للنار هذا ما اتضح معنا في بحثنا السابق .

---

• ابو لهب ، اسمه عبد العزى بن عبد المطلب ( عمّ النبي ) و هو من خصوم الدعوة المحمدية ، كان ذا مال و نفوذ في الوسط المكي و بالتاي عضواً بارزاً في ( الملأ من قريش ) .

رحلة الطيور الروح بين الأسر والانعتقاق حسب قوله تعالى: ﴿وَمَا نُرْسِلُ بِالآيَاتِ إِلاَّ تَخْوِيفًا﴾ سورة الإسراء آية (٥٩).

ولما سقطت قرطبة سنة ٦٣٣ هـ (١٢٣٦م) عرض شارل الخامس اقترحاً بهدم المسجد الجامع الذي أنشأه عبد الرحمن الداخل (صقر قريش) سنة ١٨٠ هـ الذي يعد من أكبر الآثار العربية الإسلامية في الأندلس، فوافق على هدمه. ولم يكن قد رأى المسجد، ولما مر بقرطبة بعد ذلك ورأى المسجد انبهر مما رأى من جلال الفن وعظمة المعمار فقال: (لو كنت قد علمت ما وصل إليه ذلك لما كنت قد سمحت بأن يمس هذا البنيان الضخم، لأن ما بنيتموه موجود في كل مكان وما هدمتموه فريد في العالم).

وقال المستشرق الفرنسي ماسينيون: (إن المسلمين صنعوا في الأندلس عمارة متينة راسخة في الأرض وفي الوقت نفسه تكاد تطير في الهواء لخفتها ورشاقتها).

هذا أحد تجليات الجمال الإلهي الذي عكسه الفكر الإسلامي في العالم المادي وهو فن العمارة الإسلامية.

وقد قال غوته عن العمارة: (بأنها موسيقى صامتة).

# المراجع


١- ابن الأثير: الكامل في التاريخ – دار الكتاب العربي.

٢- ابن منظور – لسان العرب.

٣- جواد علي – المفصل تاريخ العرب قبل الإسلام.

٤- الكتاب المقدس: العهد العتيق – مطبعة المرسلين اليسوعيين. بيروت ١١١٢ ط.

٥- جمال البنا – الحجاب– دار بترا للنشر والتوزيع – دمشق ٢٠٠٧ ط١.

٦- د. فاضل الأنصاري: العبودية – الرق والمرأة بين الإسلام الرسولي والإسلام التاريخي.

٧- د. عائدة الجوهري: رمزية الحجاب ومفاهيم ودلالات. مركز الدراسات الدينية بيروت ٢٠٠٧ ط١.

٨- د. ليلى صباغ. المرأة في التاريخ العربي. في تاريخ العرب قبل الإسلام. وزارة الثقافة دمشق ١٩٧٥.

٩- القرآن الكريم.

١٠-الرازي فخر: التفسير الكبير – دار إحياء التراث العربي ــ بيروت ط٣ ج

١١-مصطفى طلاس : المصطفى من أحاديث المصــطفى – دار طلاس.ط٥ ١٩٨٥.ص٦٨٣

**الدوريات**

١- مجلــة عــالم المعرفــة الكويتيــة – الــتلامس الحضاري الإسلامي الأوربي ٣٦٦- ٢٠٠٩ أغسطس.

«إن الحضارة الإسلامية أسهمت بشكل فعـــال فـــي الحضارة الغربية كما أن الفن الإسلامي والعلوم والفلســـفة الإسلامية والطب أثرت في حياة الغرب بصورة كثيرة لا يمكن إنكارها»

**كيث هوي**

**وزيرة بريطانية**

# محتويات الكتاب

# صدر للكاتب

١- تاريخ الإسماعيليين وعقائدهم.

٢- الرسائل السماوية بين النص الديني والواقع التاريخي.

٣- آدم وعيسى – وشجرة المعرفة.

٤- أرض الميعاد – فردوس المعرفة.

٥- يوسف والأحد عشر كوكباً.

٦- رحلة الطيور (الروح بين الأسر والانعتاق).

(( لو نزعنا الجصّ عـن جـدران كنائسـنا لألفينـا تحتـه كتابات مذهبة باسـم الله القدسـي بحـروف كوفيـة ، ولـو خدشنا بالأظـافر بشـرتنا الأوربيـة الصـفراء لبـرز لنـا تحتها لون بشرة العرب السمراء .

إن قوميتنا الغربية هـي العـرض الظـاهر، أمـا القوميـة الشرقية فهي حقيقتنا الخالدة )) .

**المؤرخ. فرانسيسكو فلاسباسان**

## صدر للكاتب

**١- تاريخ الاسماعيليين و عقائدهم .**

**٢- الرسائل السماوية بين النص الديني و الواقع التاريخي .**

**٣- آدم و عيسى وشجرة المعرفة .**

**٤- أرض الميعاد فردوس المعرفة .**

**٥- يوسف و الأحد عشر كوكباً .**

**٦- رحلة الطيور الروح بين الأسر و الانعتاق .**